

ملاحظات نقدية :

المختار العياشي ، « الدستور الجديد والطلبة الزيتونيون : من التحالف الى المواجهة »

اهتم الاستاذ المختار العياشي بالاوساط الزيتونية خلال الملتقيات الثلاثة الاخيرة لتاريخ الحركة الوطنية (1) فساهم في لقاء أضواء على زوايا بقيت معتمة في تاريخنا المعاصر وفي الملتقى الخامس المنعقد تحت موضوع : البلاد التونسية بعد الحرب العالمية الثانية (1945 - 1950) أيام 26 - 28 ماي 1989 بكلية العلوم الانسانية والاجتماعية بتونس قدم بحثا بعنوان « الدستور الجديد والطلبة الزيتونيون : من التحالف الى المواجهة »

أن القراءة المتأنية لهذا البحث تجعلنا نتوجه الى مناقشته على مستويين يهم الاول المصادر ويهم الثاني المحتوى.

فقد اعتمد الاستاذ العياشي على مصادر متنوعة ، غير ان بعضها يتطلب تحريا وتمحيصا كبيرين عند الاستعمال ونخص بالذكر التقارير البوليسية والشهادات الشفوية فهذه المصادر تثير اشكاليات عدة ، اذ الى أي حد يمكن الاعتماد عليها ؟

ذلك أن محور التقارير البوليسية يسيطر عليه هاجس حفظ الامن والنظام فتختلط لديه الحقائق بالشائعات والتأويلات مما يجعل التقرير يقوم ببعض المغالطات ومن هنا ضرورة التحري عند قراءته ، والبحث عن مصادر أخرى مساعدة لتقضي الحدث التاريخي وقد اعتمد الاستاذ العياشي على التقارير البوليسية ومنها ذلك الذي يشير الى المؤتمر السابع لجمعية طلبة شمال افريقيا المسلمين وليس السادس (ص 5) اذ ورد في المداخلة ان هذا المؤتمر المنعقد بتونس من 25 سبتمبر الى 8 اكتوبر 1937

- وفي غياب النواب الجزائريين والمغاربة الذين منعتهم السلطات الاستعمارية من الحضور -

تحول الى مؤتمر خاص بالزيتونيين (ص 5).

غير أن المؤتمرين في الحقيقة كانا منفصلين ، اذ كان المؤتمر السابع لطلبة شمال افريقيا سينعقد بالرباط في منتصف سبتمبر 1937 اما المؤتمر الزيتوني المشار اليه فقد جاء تقويجا للتحركات التي

عرفتها الجامعة الزيتونية اذ دخل الطلبة الزيتونيون في اضراب عن الدروس منذ 3 مارس 1937 (2) ولم يعودوا الى الدراسة الى بداية العطلة الصيفية. وفي أواخر أوت 1937 وقبل أن تمنع جمعية طلبة شمال افريقيا المسلمين من عقد مؤتمرها بالرباط. تكونت لجان طلابية زيتونية بمدن وقرى الساحل وكانت المبادرة في هذا التحرك لطلبة المنستير وكان الهدف منها تعبئة الرأي العام الاهلي لصالح القضية الزيتونية ، وفعلا وردت على السلطات الاستعمارية برقيات الاحتجاج من اهالي الساحل (3) بل قام الطلبة والسكان بمسيرات تأييد للمطالب الزيتونية بكل من المكين والمنستير وجمال (4) وقد أدت هذه التحركات الى التفكير في عقد مؤتمر طلابي زيتوني لم يحدد مواعده ومكان انعقاده حتى منتصف شهر سبتمبر ، ومن المهام التي يطرحها هذا المؤتمر حسب اللجنة المبادرة بالتحرك تشكل لجنة عليا رسمية اي منظمة طلابية عليا (5).

ويبدو ان هذه التحركات كانت بدفع من **الحزب الدستوري الجديد** الذي كان يحاول أن يدعم تنظيمه بنطاق من الجمعيات القطاعية. وقد انعقد هذا المؤتمر الطلابي الزيتوني بين 25 سبتمبر و 8 أكتوبر 1937 ، وقد أحتج المؤتمرين خلاله على منع عقد مؤتمر جمعية طلبة شمال افريقيا المسلمين وطالب حكومة المغرب بالترخيص له للانعقاد (6) وبالتالي فان المؤتمر الزيتوني اختلف منذ البداية عن مؤتمر طلبة شمال افريقيا.

كما اعتمد الاستاذ العياشي على الشهادات الشفوية وهي بلا شك ثري التاريخ غير انها تصطبغ عادة بالذاتية ومن هنا ضرورة التحري عند الاعتماد عليها وقد ذكر الاستاذ العياشي اعتمادا على الاستاذ عبد الرحمان الهيلة ان تأسيس **لجنة صوت الطالب الزيتوني** يعود الى جوان 1947 ، وفي الحقيقة فان ما يقصده الاستاذ الهيلة هو **جامعة الجمعيات الزيتونية** وليست **لجنة صوت الطالب الزيتوني** ذلك ان رؤساء الجمعيات الزيتونية اجتمعوا في 23 ماي 1947 بنادي جمعية **الاتحاد الصفاقي الزيتوني** واعلنوا عن تضامنهم مع أساتذتهم في المطالب التي كانوا يرفعونها ، وقد أمضى على لائحة هذا الاجتماع رؤساء هذه الجمعيات ومن بينهم احمد الزغل (الاتحاد الصفاقي الزيتوني) ومحمد الصغير الشابي (النهوض بالطلبة التوزري) ومحمد البدوي (التاخي الزيتوني المجاري) وابراهيم حسن (شباب الخضر ابن الحسين) ... (7) وقد أورد الاستاذ العياشي نقلا عن الهيلة أسماء هؤلاء الطلبة ضمن ما اسماء بمكتب لجنة صوت الطالب الزيتوني ... غير ان هذه المنظمة لم تتكون الا خلال السنة الدراسية 1949 - 1950 فقد

انعقد مجلس الاصلاح الزيتوني بهدف الحد من العملية الاصلاحية التي أذن بها نفس الهيكل سنة 1945 فانعقد أمل السلطات الاستعمارية على « ان الظروف العامة والتركيب الجديد للمجلس يقضيان بتخاذه وترجع ينقض بهما مجلس الاصلاح غزله » فأحس الطلبة الزيتونيون بالخطر وكان بروز **لجنة صوت الطالب الزيتوني** (8) كما يذهب محمد البدوي ، وهو من أبرز مؤسسي هذه اللجنة الا أن ظهورها يعود الى فيفري 1950 (9) وقد دأبت على الاحتفال بخكري تأسيسها في هذا الشهر (10).

فلا بد حينئذ من تكثيف الروايات الشفوية اذا غابت المصادر المكتوبة حتى نتجنب التأثير بالنوازع الذاتية للرواية ، هذه الذاتية التي تبرز جلية في رواية الاستاذ علي التريكي (ص 15 - الهامش 2) اذ يقول ان الطلبة الزيتونيين ويعني بهم الصوتيين استفادوا من ترخيص يسمح لهم بامتطاء الفطار نحو قصر قرطاج ، وقد منحهم ذلك الترخيص المراقب المدني Nullet وينطلق من ذلك ليقول ان تعامل المنظمة الزيتونية مع السلطات الاستعمارية كان ثابتا ورغم احتراز الاستاذ العياشي فان هذه الرواية ، الموقف تتطلب أكثر من توضيح :

- ان الاستاذ علي التريكي كان معاديا **للجنة صوت الطالب الزيتوني** ، وهو من مؤسسي « لسان الحياض الزيتوني » في أكتوبر 1950 وليس من الغريب اذن ان يتشبث بالروايات التي تستعمل للدعاية ضد صوت الطالب ومن بينها هذه الرواية التي ذكرها.

- ان ل.ص.ط.ز. كانت من أشد المعارضين للحكومة التفاوضية اذ ذلك بينما كان **الحزب الدستوري (الجديد)** من المشاركين فيها ويسعى الى تهدئة الاوضاع بقصد توفير الظروف الملائمة لانجاز مهمتها.

واضافة الى المصادر فانه لا بد من تدقيق بعض المعطيات التي يوردها الاستاذ العياشي. فأول المنظمات المنافسة **للجنة ص.ط.ز. والولاية للدستور الجديد** هي **لسان الحياض الزيتوني** وليس صوت الحياض الزيتوني (ص 12) وقد تأسست هذه المنظمة في أكتوبر 1950 بعدما عجز **الدستور الجديد** عن اقناع ل.ص.ط.ز. بفك الاضراب الذي اعلن منذ أفريل 1950 وكان مؤسسوها دستوريين دن بينهم المبروك صلبب وحامد خنفيير وعلي التريكي والمبروك عبد الصمد (11) ولم يكن عمر شاشية من بينهم كما ذهب الى ذلك الاستاذ العياشي (ص 12) اذ أن عمر شاشية وهو من مؤسسي **لجنة صوت الطالب الزيتوني** بقي ضمن هيئتها الى بداية سنة 1951 عند انطلاق عمليات العنف بين

الدستوريين والطلبة الزيتونيين ، وقد انسحب آنذاك مع عناصر أخرى من بينها عبد الرحمان الهيلة والعجمي السائب (12) وقبل انسحابه حاول عمر شاشية أن يدعم الشق المعتدل داخل ل.ص.ط.ز. لتخفيض الضغط على الحكومة التي يشارك فيها **الدستور الجديد** (13) وبالتالي فهو لم يكن من مؤسسي **لسان الحياض الزيتوني** وان كان من الذين دعموا المنظمات الزيتونية الدستورية التي تأسست فيما بعد ومن هذه المنظمات **كتلة الدفاع عن المطالب الزيتونية** التي ذكر الاستاذ العياشي انها تأسست في بداية فيفري 1951 (ص 15) في حين أنها تأسست بعد ذلك بشهر والادلة على ذلك :

- عدم صدور أية وثيقة تحمل امضاء **الكتلة** تعود الى شهر فيفري 1951 في حين أن **لسان الحياض** الزيتوني واصل اصدار مناشيره ومن بينها ذلك الذي وقع تعليقه ليلة 17/18 فيفري 1951 (14).

- بيان **الكتلة** الصادر بجريدة **الصباح** بتاريخ 4 أفريل 1951 بعنوان « انسلاخات من لجنة صوت الطالب ».

ويعود الخطأ في تاريخ تأسيس **الكتلة** الى الخطأ الذي ورد في اول بيان أصدرته يوم 8 مارس 1951 بجريدة **الصباح** اذ ورد فيه ان مؤتمر الزيتونيين بالجنوب الذي أفرز **الكتلة** انعقد يوم 4 فيفري وهو خطأ واضح.

وفي السنة الدراسية 1953 - 1954 أسس الطلبة الزيتونيون نوو الميولات الدستورية **الهيئة القومية للطلبة الزيتونيين** وقد اعتبر الاستاذ العياشي **صدي الزيتونة** لسان حال لهذه المنظمة (ص 15 - هامش 5 نص 16) رغم أنه يذكر أن رئيس تحريرها هو محمد البدوي ، قائد المعارضة الزيتونية لهيمنة الدستور الجديد . وفي الحقيقة فان **صدي الزيتونة** أعلنت منذ عددها الاول انها « لا تمثل منظمة خاصة من المنظمات الزيتونية » ، (15) اما عمليا فكانت تتابع أنشطة ل.ص.ط.ز. وتحركاتها وتنشر بياناتها وبلاغاتها وكان صحافيوها في الغالب هم العناصر القيادية **بلجنة صوت الطالب الزيتوني** بل افتتاحياتها كان يحررها محمد البدوي أبرز قيادي المركزية الطلابية.

وليست هذه هي الصحيفة الاولى التي تصدرها ل.ص.ط.ز. فقد أصدرت سنتي 50 - 1951 ، صوت الطالب الزيتوني ، . اما **الهيئة القومية للطلبة الزيتونيين** فقد كانت جريدة الزيتونه تعبر عن مواقفها وتنشر بياناتها وبلاغاتها وتغطي أنشطتها وقد أصدرها عمر شاشية ومحمد الشاذلي الخيفر ابتداء من 8 نوفمبر 1953.

وقد أغفل الاستاذ العياشي ان **كتلة الدفاع عن المطالب الزيتونية** أصدرت هي الاخرى صحيفة خاصة بها : «الكفاح» وكانت تطبع في نفس المطبعة التي تسحب بها جريدة **الحرية** لسان حال **الدستور الجديد** (مطبعة التليلي بنهج المفتي) وقد كان يدير **الكفاح** المبروك صليب احد العناصر الدستورية ومن مؤسسي **لسان الحياض** وصدرت منها تسعة أعداد بين ماي وأوت 1951.

ولا بد في الاخير من الاعتراف بصعوبة معالجة قضايا التاريخ المعاصر رغم وفرة مصادره ، ومع ذلك فقد وفق الاستاذ العياشي في كتاباته في مغالبة جوانب كثيرة من هذه الصعوبة ، وفي سبيل ترويض زوايا مازالت معاندة.

محمد ضيف الله

الهوامش

(1) فقد قدم الاستاذ العياشي البحوث التالية :

- La Politique coloniale et la question zaitunienne dans les années Trente” in, *Les mouvements Politiques et sociaux dans la Tunisie des années 1930* (Actes du 3e séminaire sur L’histoire du mouvement National, 17-18 Mai 1985), Tunis, 1987, 817 - 835.
 - ”Le mouvement zeytounien dans le contexte de la seconde guerre”, in, *La Tunisie de 1939 à 1945* (Actes du 4e séminaire sur L’H.M.N., 5-7 Juin 1987), Tunis, 1989, p. 271-309.
 - ”Le Nco Destour et les étudiants zeytouniens : de L’alliance à l’affrontement” in, *La Tunisie de L’après-guerre 1945-1950* (actes du 5e séminaire sur L’H.M.N., du 26-28 Mai 1989), à paraître, 17 p. dactylo.
- (2) الارشيف العام للحكومة التونسية (أ. ع. ج. ت)، د 36-ا، تقرير شيخ الجامع بتاريخ 3 مارس 1937 الى الوزير الاكبر وكذلك تقارير بوليسية بتاريخ 3 و5 مارس 1937
- (3) Archives du Quai d’Orsay (A.Q.O), série : Tunisie 1917 - 40, carton 389 dos unique F 95-107. archives microfilmées et déposées au CNUDST.
- (4) Archives Générales du Gouvernement Tunisien, D-36 - 2 rapport de police en date du 6 Sept. 1937 et correspondance du contrôleur civil de Sousse au Résident Général en date du 11 sept. 1937.
- (5) النهضة، 14 سبتمبر 1937، ”داء، لكافة الزيتونيين“
- (6) النهضة، 11 اكتوبر 1937، ”احتجاج المؤتمر الزيتوني الاول حول منع حكومة المغرب الاقصى لمؤتمر مطلبة شمال افريقيا المسلمين بفرنسا“.
- (7) أ. ع. ج. ت. د 36-2 مكتوب الى الوزير الاكبر بتاريخ 23 ماي 1947 ويحمل امضاء، 27 جمعية زيتونية محلية.
- (8) ابن عاشور (الفاضل)، الحركة الادبية والفكرية في تونس، القاهرة 1956، ص 211.
- (9) العامري (محمد البدوي)، صوت من الغيب، منشورات المكتبة العصرية بيروت - صيدا، د.ت. ص 6.
- (10) أ. ع. ج. ت. د 36 - 2، مكتوب الشيخ علي النيفر وزير الدولة بتاريخ 18 فيفري 1953، وكذلك مكتوبه الى الوزير الاكبر بتاريخ 28 فيفري 1955.
- (11) الزيدي علي : تاريخ النظام التربوي للشعبة العصرية الزيتونية (1951-1965) تونس 1986، ص 145.
- (12) ضيف الله (محمد) لجنة صوت الطالب الزيتوني (1950-1956)، شمادة الكفاءة في البحث، قسم التاريخ كلية العلوم الانسانية والاجتماعية تونس 1988، ص 53.
- (13) المصدر نفسه، ص 68.
- (14) المصدر نفسه، ص 101، انظر نص المنشور كاملا : الزيدي، تاريخ النظام التربوي، نفس المصدر، ص 465.
- (15) صدى الزيتونة : 9 جانفي 1954، ”صدى الزيتونة كما يجب ان تكون الافتتاحية“.